«اَلْحِرْصُ عَلَى تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ عَلَى الدِّينِ وَعَلَى رُوحِ الْـمَسْؤُولِيَّةِ فِي الْحَيَاةِ»

اَلْخُطْبَةُ الْأُولَى:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، نَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ الْجُلَّى وَمِنَنِهِ الْكُبْرَى، وَنَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ مَنْ رَبَّى وَعَلَّمَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَبَارَكَ وَأَكْرَمَ وَعَظَّمَ، وَعَلَى صَحَابَتِهِ الْكِرَامِ الْأَعْلَامِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا مَعَاشِرَ الْـمُؤْمِنِينَ

اتقوا اللَّهَ تَعَالَى القائل فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ اَنفُسِكُمْ اَزْوَٰجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ اَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِالْبَٰطِلِ يُومِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَۙ.)

عِبَادَ اللَّهِ؛ كُلَّمَا حَلَّ بِنَا الْـمَوْسِمُ الدِّرَاسِيُّ الْجَدِيدُ، اِنْشَغَلَ النَّاسُ بِمَا يَجِبُ مِنَ الْإِعْدَادِ وَالْاِسْتِعْدَادِ الْـمَادِّيِّ وَالْـمَعْنَوِيِّ، وَتَوْفِيرِ كُلِّ الظُّرُوفِ الْـمُلَائِمَةِ لِتَهْيِئَةِ الأولاد لِاسْتِقْبَالِ عَامٍ دِرَاسِيٍّ جَدِيدٍ، مَعَ التَّحْفِيزِ عَلَى الْجِدِّ وَالْاِجْتِهَادِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ تُطْرَحُ أَسْئِلَةٌ هَامَّةٌ تَشْغَلُ بَالَ الْجَمِيعِ؛ حَوْلَ أَهَمِّيَّةِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ، وَالْغَايَةِ مِنْ بَذْلِ الْوُسْعِ فِي الْاِسْتِثْمَارِ فِي الْأَوْلَادِ؛ بِصَرْفِ الاهْتِمَامِ مِنْ أَجْلِ تَكْوِينِهِمْ، وَمَا مَدَى ثِقَلِ الْـمَسْؤُولِيَّةِ الْـمُلْقَاةِ عَلَى عَاتِقِ الْآبَاءِ وَالْـمُعَلِّمِينَ وَالْأَسَاتِذَةِ وَسَائِرِ الْـمُرَبِّينَ، وَحَجْمِ الْأَمَانَةِ الَّتِي يَتَحَمَّلُونَهَا تُجَاهَ دِينِهِمْ وَوَطَنِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ؟؛ إِذِ التَّعْلِيمُ وَالتَّرْبِيَةُ يَجِبُ فِيهِمَا عَلَى الْخُصُوصِ مُرَاعَاةُ خُصُوصِيَّةِ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ؛ اَلدِّينِ، وَالْوَطَنِ، وَالْأُمَّةِ؛ بِحَيْثُ تَجِبُ التَّرْبِيَةُ وَالتَّثْقِيفُ وَالتَّزْكِيَةُ عَلَيْهَا وَفْقَ مَا رَسَّخَتْهُ الثَّوَابِتُ الدِّينِيَّةُ وَمُقَوِّمَاتُ الْهُوِيَّةِ الْوَطَنِيَّةِ.

وَهَذَا مِمَّا تُعْنَى بِهِ وتُرْشِدُ إِلَيْهِ خُطَّبة الجمعة، وَيُعْطِيهَا الْعُلَمَاءُ وَالْـمُرَبُّونَ وَالْـمُصْلِحُونَ أَهَمِّيَّةً كُبْرَى؛ مِنْ أَجْلِ تَحَمُّلِ الْـمَسْؤُولِيَّةِ تُجَاهَ الْأَبْنَاءِ؛ بِمَا يَجِبُ لَهُمْ مِنَ التَّرْبِيَةِ وَالتَّهْيِئَةِ لِتَحَمُّلِ الْـمَسْؤُولِيَّةِ فِي الْـمُسْتَقْبَلِ؛ إِذِ الْأَمَانَةُ الَّتِي تَحَمَّلَهَا الْإِنْسَانُ لَيْسَتْ مَسْؤُولِيَّةَ جِيلٍ أَوْ أَجْيَالٍ، وَإِنَّمَا هِيَ مَسْؤُولِيَّةُ الْإِنْسَانِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، وَتَنْتَقِلُ مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ، عَبْرَ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّزْكِيَةِ؛ كَمَا بَيَّنَهُ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ؛ فِي إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَدَاءِ مَا لِلْعِبَادِ مِنْ حُقُوقٍ.

وَمِنْ أَهَمِّ مَا يَنْبَغِي الاِهْتِمَامُ بِهِ: اَلتَّرْبِيَةُ عَلَى رُوحِ الْـمَسْؤُولِيَّةِ عِنْدَ الْعَمَلِ فِي إِطَارِ الْجَمَاعَةِ، مَعَ الْحِرْصِ عَلَى خِدْمَةِ الْأُمَّةِ، وَمُحَارَبَةِ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ مِنَ الْفَرْدَانِيَّةِ وَالْأَنَانِيَّةِ وَالْعُجْبِ بِالنَّفْسِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ فِي الْإِنْسَانِ.

وَتَرْبِيَةُ الْأَوْلَادِ عَلَى جَمِيلِ الْخِصَالِ وَجَلِيلِ الْقِيَمِ، هِيَ أَحَدُ مَقَاصِدِ الزَّوَاجِ وَتَكْوِينِ الْأُسْرَةِ وَالْمُعَاشَرَةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي أَشَرْنَا إِلَيْهَا فِي خُطَبٍ سَابِقَةٍ؛ إِذْ مِنْ شُرُوطِ تَكْوِينِ الْأُسْرَةِ: اِخْتِيَارُ الزَّوْجِ الصَّالِحِ، وَالْعَيْشُ فِي كَنَفِ السَّكَنِ وَالْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْفَضْلِ، وَاحْتِرَامُ مَا يَقْتَضِيهِ الْمِيثَاقُ الْغَلِيظُ؛ كَمَا سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ:(وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا)؛ كُلُّ ذَلِكَ لِتَهْيِئَةِ الظُّرُوفِ الْمُلَائِمَةِ لِتَرْبِيَةِ النَّاشِئَةِ عَلَى الدِّينِ وَالصَّلَاحِ، وَتَحَمُّلِ الْمَسْؤُولِيَّةِ مِنْ جِيلٍ إِلَى آخَرَ.

وَلِذَا جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ سُورَةِ النَّحْلِ فِي سِيَاقِ تَعْدَادِ النِّعَمِ؛ حَيْثُ يَقُولُ الْبَارِئُ - جَلَّ وَعَلَا - عَلَى سَبِيلِ الْامْتِنَانِ وَشَرِيفِ الْخِطَابِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ:(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ اَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ اَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ)؛ فَالتَّصْرِيحُ بِلَفْظِ الْجَلَالَةِ فِي بِدَايَةِ الْجُمْلَةِ مُفِيدٌ لِلْحَصْرِ وَالِاهْتِمَامِ؛ أَيْ: اَللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي أَعْطَاكُمْ هَذِهِ النِّعَمَ، اَلَّتِي مِنْ بَيْنِهَا: الْأَزْوَاجُ الصَّالِحُونَ وَالصَّالِحَاتُ، وَالْأَوْلَادُ وَالْحَفَدَةُ الْبَرَرَةُ الصَّالِحُونَ، وَالرِّزْقُ الْحَلَالُ فِي الزَّوَاجِ وَالْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ.

فَهَذِهِ مِنَنٌ كُبْرَى تَسْتَوْجِبُ مِمَّنْ حَصَّلَهَا شُكْرَهَا؛ وَمِنْ شُكْرِهَا: اَلتَّحَلِّي بِالْمَسْؤُولِيَّةِ عِنْدَ التَّمَتُّعِ بِهَا، وَصَرْفُهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، مَعَ الِاعْتِرَافِ لَهُ بِجَمِيلِ عَطَائِهِ، وَحُسْنِ كَرَمِهِ وَآلَائِهِ؛ وَلِذَلِكَ نَعَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ إِعْرَاضَهُمْ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِنِسْيَانِ شُكْرِهِ وَالِاعْتِرَافِ بِفَضْلِهِ، مَعَ الِالْتِفَاتِ فِي الْكَلَامِ مِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ؛ إِكْرَامًا لِمَنْ قَابَلَ النِّعْمَةَ بِشُكْرِهَا، وَإِعْرَاضًا عَمَّنْ أَعْرَضَ عَنِ الْمُنْعِمِ بِهَا؛ فَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ عَلَى سَبِيلِ التَّوْبِيخِ وَالتَّأْنِيبِ: (أَفَبِالْبَٰطِلِ يُومِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ)

عِبَادَ اللَّهِ؛ إِنَّ مِنْ شُكْرِ نِعْمَةِ الذُّرِّيَّةِ وَالْأَوْلَادِ: تَرْبِيَتَهُمْ عَلَى الدِّينِ وَالْقِيَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَرِعَايَةَ جَمِيعِ حُقُوقِهِمُ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، وَتَرْبِيَتَهُمْ عَلَى تَحَمُّلِ رُوحِ الْمَسْؤُولِيَّةِ، وَالْحِرْصِ عَلَى أَدَاءِ الْوَاجِبِ تُجَاهَ وَطَنِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ، وَكُلِّ مَنْ لَّهُ حَقٌّ عَلَيْهِمْ.

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِقُرْآنِهِ الْمُبِينِ، وَبِحَدِيثِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَغَفَرَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

اَلْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اَلرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ؛ إِنَّ مَنْ يَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى بِتَدَبُّرٍ وَتَأَمُّلٍ وَفَهْمٍ سَلِيمٍ، يُدْرِكْ تَمَامَ الْإِدْرَاكِ أَنَّ الْأَوْلَادَ نِعْمَةٌ عُظْمَى وَمِنَّةٌ كُبْرَى؛ إِذْ وَصَفَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

الذُّرِّيَّةَ بِأَنَّهَا هِبَةٌ مِّنْهُ سُبْحَانَهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ؛ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ: (اَلْحَمْدُ لِلهِ اَلذِي وَهَبَ لِي عَلَى اَلْكِبَرِ إِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ اَلدُّعَآءِ ۚ). وَقَوْلُهُ تَعَالَى:(يَهَبُ لِمَنْ يَّشَآءُ إِنٰثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَّشَآءُ اَلذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنٰثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَّشَآءُ عَقِيماً ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۚ).

مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَلْكُهُ؛ يَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ يَشَاءُ، فَلَا أَحَدَ يُشَارِكُهُ فِيهِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النِّعْمَةَ يَجِبُ شُكْرُهَا لِتَبْقَى. وَشُكْرُ نِعْمَةِ الْأَوْلَادِ: تَرْبِيَتُهُمْ عَلَى قِيَمِ الدِّينِ الَّتِي تَتَجَلَّى فِي السُّلُوكِ الْقَوِيمِ، وَتَعْلِيمُهُمْ كِتَابَ اللهِ، وَتَرْسِيخُ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُلُوبِهِمْ، وَالْعَدْلُ فِيمَا بَيْنَهُمْ مِنْ غَيْرِ تَفْضِيلِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ مَادِّيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا، إِلَّا مَا كَانَ لَهُ مُوجِبٌ شَرْعِيٌّ وَحَقٌّ مَرْعِيٌّ؛ لِعَجْزٍ أَوْ فَقْرٍ وَنَحْوِهِمَا، وَحَمْلُهُمْ عَلَى حُبِّ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ وَعَلَى الْإِيثَارِ، وَإِبْرَازُ الصَّدَقَةِ فِي وُجُوهِهِمْ، وَتَكْلِيفُهُمْ بِإِعْطَائِهَا لِأَصْحَابِهَا تَدْرِيبًا لَهُمْ عَلَيْهَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ وَسَائِلَ تُسَاعِدُهُمْ عَلَى تَحَمُّلِ أَعبَاءِ الْمَسْؤُولِيَّةِ، وَالتَّحَلِّي بِرُوحِ الْوَاجِبِ وَالسَّهَرِ عَلَى أَدَائِهِ.

هَذَا؛ وَصَلُّواْ وَسَلِّمُواْ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ كُلَّمَا ذَكَرَكَ وَذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ، وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ وَذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ بَاقِي الصَّحْبِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَانْصُرِ اللَّهُمَّ مَنْ وَلَّيْتَهُ أَمْرَ عِبَادِكَ،

وَلِيَّ أَمْرِنَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، نَصْرًا عَزِيزًا تُعِزُّ بِهِ الدِّينَ، وَتَرْفَعُ بِهِ رَايَةَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، اَللَّهُمَّ اكْلَأْهُ بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَاحْفَظْهُ فِي جَنْبِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَأَقِرَّ عَيْنَهُ بِوَلِيِّ عَهْدِهِ،وَارْحَمِ اللَّهُمَّ بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ آبَاءَنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَسَائِرَ مَوْتَانَا وَمَوْتَى الْمُسْلِمِينَ.

اَللَّهُمَّ اهْدِنَا وَاهْدِ بِنَا، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ، رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ، وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا، وَاجْعَلْ ذُرِّيَّتَنَا مِمَّنْ خَافَكَ وَاتَّقَاكَ، وَوَفِّقْهُمْ لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ فِي سِرِّهِمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ، وَخُذْ بِنَاصِيَتِنَا وَنَاصِيَتِهِمْ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، آمِينَ، اللَّهُمَّ اهْدِي أَبْنَاءَ وَبَنَاتِ الْحَاضِرِينَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ وَحَقِّقْ أَهْدَافَهُمْ وَآمَالَهُمْ وَحَفِظَهُمْ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَكَرِهَ إِلَيْهِمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْهُمْ مِنْ الرَّاشِدِينَ.رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.